الفصل السادس
الاستعمار الاوربي للبلاد العربية

الاستعمار الاوربي

عندما بدأ الحكم العثماني للبلاد العربية يتراخى في عهده الاخير نتيجة لتصاعد حركات المعارضة والانتفاضات. اخذت الحكومة المركزية تفقد سيطرتها على الكثير من الولايات العربية التابعة لها بعد ان ازداد التدخل الاوربي فيها. وقد اتخذ هذا التدخل في بدايته مظهرا اقتصاديا وثقافيا من اجل زيادة التباعد بين هذه الولايات والدولة العثمانية تمهيدا لفصلها عنها ومن ثم السيطرة عليها واستعمارها من خلال العمل السياسي والعسكري. تزامن ذلك مع زيادة الانتاج الصناعي الاوربي وحاجة الدول الصناعية الى المواد الاولية لمصانعها والاسواق لتصريف بضائعها الفائضة . وصار الاستعمار مقياسا لقوة الدولة ووزنها في السياسة الدولية. كانت البلاد العربية في مقدمة البلدان التي استهدفها المستعمرون الذين اتخذوا ذرائع واساليب متنوعة في استعمارها تتلاءم والظروف المحلية والدولية المحيطة بها.وسنشير الى كيفية التغلغل الاستعماري في البلاد العربية .

١- مصر والسودان

مصر:

(الاحتلال الفرنسي لمصر)

كان من نتائج الحروب التي اندلعت في اوربا بعد قيام الثورة الفرنسية .ان توجه الفرنسيون بانظارهم نحو الشرق لاقامة امبراطورية فرنسية تعوضهم عن ما خسروه من مستعمرات في اثناء حربهم مع بريطانيا وخروجهم من الهند التي صارت اهم المستعمرات البريطانية. ولما كانت مصر تحتل موقعا ستراتيجيا وتهيمن على طرق المواصلات المارة الى الشرق، فقد توجه اليها القائد الفرنسي نابليون بونابرت بحملة كبيرة عام ١٧٩٨م من اجل استعمارها واتخاذها قاعدة للتوسع شرقا. فكان ذلك بداية للاستعمار الاوربي المنظم للبلاد العربية.

تمكن نابليون من تحقيق الانتصار على حكومة مصر المملوكية التي كانت تعاني من الانقسام والتفكك، فدخلت قواته القاهرة بعد ان عجزت الدولة العثمانية عن تقديم الدعم للمصريين. وإدعى نابليون انه جاء محررا لا فاتحا وانه في سبيل اعتناق الاسلام . وبعد ان دمر البريطانيون اسطوله في ابي قير على الساحل المصري انقطع الاتصال بينه وبين فرنسا. فاتخذ موارد مصر مصدرا لتموين حملته الامر الذي ادى الى افقار الشعب وتزايد غضب المصريين وبدأت المواجهات بين الطرفين، لكن نابليون قضى على الانتفاضات والمعارضة بقسوة متناهية.

ولمنع الدولة العثمانية من تقديم العون للمصريين عن طريق البر قاد نابليون حملة الى بلاد الشام عبر فلسطين لكنه لم يتمكن من احتلال مدينة عكا التي فرض الحصار عليها. فاضطر الى رفع الحصار بعد انتشار الطاعون بين جنده والمقاومة التي ابداها سكان المدينة بدعم من البريطانيين. فعاد الى مصر خائبا ثم غادرها الى فرنسا بعد علمه بالاخطار الخارجية والداخلية التي تهدد الحكومة الفرنسية تاركا احد قادة جيشه نائبا عنهُ. وتكررت المواجهات مع الشعب المصري المدعوم من البريطانيين والعثمانيين فاضطر الفرنسيون الى الانسحاب عام ١٨٠١م بعد الاتفاق مع العثمانيين .

حكم محمد علي

عاد العثمانيون لحكم مصر لكنهم واجهوا معارضة من سكانها، ووقع اختيار الاعيان وقادة الحركة الوطنية على محمد علي الالباني لقيادتهم. وكان هذا ضابطا في الحامية العثمانية التي ارسلت الى مصر لاخراج الفرنسيين منها وبقي في مصر بعد انسحاب العثمانيين، فنصبوه حاكما لمصر التي اعلنت استقلالها الداخلي عن العثمانيين. وعلى الرغم من ذلك ظل العثمانيون يدعون تبعية مصر لهم لكنها كانت تبعية اسمية.

افتتاح قناة السويس

تزايدت اهمية مصر بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م وكان حاكمها انذاك اسماعيل حفيد محمد علي متخذاً لنفسه لقب الخديوي وهو لقب يعني الملك او الامير وقد سعى لادخال الحضارة الغربية الى بلاده فاغرق مصر بالديون من هذه الدول التي حصلت على الكثير من الامتيازات منه . وراحت تحرضه على الدولة العثمانية ليحصل منها على اكبر قدر من الاستقلال بهدف انتزاع المزيد من الامتيازات.

الخديوي اسماعيل
(١٨٣٠-١٨٩٥م)

الخديوي توفيق
(١٨٥٢-١٨٩٢م)

ادركت بريطانيا اهمية قناة السويس التي افتتحت بجهود فرنسية و مصرية في المواصلات بين الشرق والغرب. فسعت للسيطرة عليها مستغلة في ذلك تبذير الخديوي اسماعيل واستدانته مبالغ كثيرة من المصارف البريطانية والفرنسية. فازدادت تدخلات هاتين الدولتين في مصر وشكلتا لجنة مالية ثنائية للاشراف على شؤونها المالية وتخصيص مواردها لتسديد الديون. الامر الذي اجبر اسماعيل على زيادة الضرائب وعقد القروض الداخلية. ثم باع حصة مصر في اسهم قناة السويس والبالغة النصف الى بريطانيا بثمن ذو قيمة واطئة لتسديد القروض الخارجية. فضلا عن تشكيل وزارة اشرك فيها وزيران احدهما بريطاني والاخر فرنسي لوزارتي المالية والاشغال لذلك اطلق عليها المصريون اسم (الوزارة الاوربية). فقامت الوزارة بتسريح عدد كبير من ضباط الجيش وتخفيض الرواتب مما ولد استياءاً عاماً وبدأت التظاهرات ضد الحكومة.

استجاب الخديوي اسماعيل لمطالب السكان وشكل وزارة جديدة من المصريين ووعد بنظام دستوري نيابي. فتولت الوزارة عزل الموظفين الاوربيين وزيادة عدد افراد الجيش. ولكن بريطانيا وفرنسا عارضتا ذلك وطلبتا من اسماعيل التنازل عن الحكم لولده توفيق فاضطر الى الاستسلام والمغادرة الى ايطاليا منفيا.واستسلم توفيق للاوربيين فاعاد تأسيس المراقبة الثنائية على الشؤون المالية وازداد تدخل البريطانيين والفرنسيين.

ثورة عام ١٨٨١م

تجمع المثقفون والمفكرون المطالبون بالاصلاح السياسي وشكلوا جمعية عرفت بالحزب الوطني للمطالبة بتحسين الاوضاع الاقتصادية والوقوف بوجه التدخل الاوربي واقامة النظام الدستوري وتحقيق المساواة بين ابناء المجتمع. وفي الوقت نفسه كان التذمر في صفوف الضباط قد بلغ ذروته بعد ان تم ابعاد الوطنيين عنه وانقاص عدده، وحاز على المناصب والرتب العليا فيه غير المصريين من المماليك والاتراك والجراكسة وغيرهم.

برز من بين الضباط احمد عرابي الذي ارتبطت الثورة المصرية باسمه. كان من اسرة فلاحية مصرية لكنه لم يحصل على الترقيات التي كان يستحقها والتي لم يكن الوطنيون مشمولين بها. وانتشرت بين الضباط حركة مدعومة من المفكرين والعلماء تدعو الى انصاف الضباط المصريين في المناصب والرتب العسكرية. قاد الحركة احمد عرابي الذي اختاره الضباط في بداية سنة ١٨٨١م ناطقا باسمهم والذي طالب الخديوي توفيق بانهاء الرقابة الاوربية على الامور المالية وزيادة عدد افراد الجيش ووقف التدخل الاجنبي في شؤون مصر وتحديد سلطة الخديوي. وبعد ان رفضت مطالبهم توجهوا الى قصر الخديوي الذي اصيب بالذعر ووافق على تلك المطالب. وتم تأليف وزارة وطنية في بداية السنة التالية تولى فيها احمد عرابي وزارتي الحربية والبحرية وبادرت الوزارة الى اعلان الدستور.

احمد عرابي
(١٨٤١-١٩١١م)

الاحتلال البريطاني لمصر

احتجت بريطانيا وفرنسا وطلبتا من الخديوي توفيق اقالة الوزارة الوطنية ونفي احمد عرابي بحجة ان الوزارة تهدد مصالحهما وحياة الاجانب في مصر ولكن الوزارة رفضت ذلك. واحتشد الوطنيون في الاسكندرية عندما سمعوا بوصول بوارج حربية بريطانية الى الميناء. ووقع صِدام بين الوطنيين والاجانب ادى الى مقتل عدد من الاجانب فاضطر الخديوي الى الذهاب الى الاسكندرية واللجوء الى الاسطول البريطاني.

عقدت الدول الاوربية مؤتمرا في استانبول دعا فيه ممثل بريطانيا الى وجوب التدخل في مصر. وفي تموز ١٨٨٢م بدأ الاسطول البريطاني بقصف الاسكندرية وانزل قواته فيها . وزحفت قوات اخرى الى القاهرة فدخلتها في منتصف ايلول واستسلم عرابي وحكم عليه بالاعدام ثم استبدل الحكم بالنفي الى سيلان . وعاد الخديوي الى العاصمة بحماية

البريطانيين وتم تعيين احد البريطانيين حاكما عاما لمصر الذي قام بنزع سلاح الجيش المصري وتسريحه وفرض الغرامات على الشعب.

السودان:

كان طبيعيا ان يتاثر السودان بما كان يجري في مصر، اذ انه الحق بالادارة المصرية في عهد محمد علي، واجرت هذه الادارة العديد من الاصلاحات ووحدت البلاد ونشرت الامن والاستقرار. كان الموظفون ومعظمهم من الاتراك والجراكسة وقليل من المصريين. وسرعان ما دب الفساد واستشرى لاسيما بعد ان سلمت الحكومة المصرية بعض الاوربيين المناصب العليا في الادارة فاثاروا كراهية الشعب لهم. وكان السودانيون يشعرون بالظلم من التوسع المصري في السواحل الشرقية لافريقيا والقرن الافريقي في عهد الخديوي اسماعيل، لان العبء الاكبر قد وقع على عاتقهم. ولذلك ازدادت المعارضة والتذمر واخذت السيادة المصرية بالانحسار .

محمد المهدي السوداني
(١٨٤٣-١٨٨٥م)

حركة محمد المهدي

ظهرت في السودان شخصية قيادية سنة ١٨٨١م هو محمد احمد الملقب بالمهدي. استطاع المهدي ان يوحد الشعب في حركة مسلحة من خلال تحريك شعور الاهالي واثارة حميتهم بحيث عم التذمر بين السودانيين ورأوا فيه الشخص الذي يمكن ان يقودهم. تزامن ذلك مع ثورة مصر فاعلن نفسه المهدي المنتظر والمكلف بتأسيس دولة اسلامية عاصمتها مكة المكرمة. وعندما اراد حاكم السودان ان يمنعه من ذلك اصطدم به المهدي وانتصر على قواته، وكان هذا الانتصار عاملا في زيادة اعتقاد انصاره فيه. وفي ايلول١٨٨٢م وهو الشهر الذي دخلت فيه القوات البريطانية القاهرة استولى انصاره على مدينة الابيض عاصمة كردفان واتخذوها قاعدة لهم، وامتدت الثورة الى كل انحاء السودان حقق فيها السودانيون انتصارات على القوات الحكومية.

وجدت بريطانيا ان الفرصة اصبحت مواتية لاخراج المصريين من السودان بعد قتل القائد البريطاني واركان حربه وابادة جيشه في احدى المعارك عام ١٨٨٣م واستسلام حكام المديريات (الاجانب) الى المهدي، الذي شمل حكمه السودان باجمعه. فطلبت من الخديوي توفيق اخلاء السودان وسحب الجيش المصري فتم سحب كل الموظفين والحاميات المصرية. وعينت بريطانيا الجنرال غوردون حاكما على السودان عام ١٨٨٤م، لكن قوات المهدي حاصرته في الخرطوم فاضطرت بريطانيا الى ارسال قوات اخرى.

دخل المهديون في بداية عام ١٨٨٥م الخرطوم وقتلوا غوردون وجنده ولكن المهدي توفي بعد خمسة اشهر فتولى القيادة خليفته (التعايشي). ولم يكن الاخير يملك مؤهلات المهدي فضعفت الدعوة المهدية.

التنافس الاستعماري على السودان:

ازداد التنافس الاستعماري في المنطقة فاستولى الايطاليون على ارتيريا ومنها مدوا نفوذهم الى السودان والحبشة، لكن الاحباش هزموهم في معركة عدوة عام ١٨٩٥م. وارسلت فرنسا قوة لاحتلال السودان وارسلت بريطانيا بدورها قوة مشتركة بريطانية - مصرية للغرض نفسه . وكادت الحرب ان تقع بين الدولتين ولكن مفاوضات طويلة جرت بينهما ادت الى انسحاب القوات الفرنسية عام ١٨٩٩م. عقدت الدولتان اتفاقية صار بموجبها السودان باجمعه بايدي القوات البريطانية - المصرية وبدأ ما يسمى (الحكم

الثنائي االبريطاني ـ المصري). وصار تعيين الحاكم البريطاني للسودان يتم بتوصية من بريطانيا وبمرسوم يصدره خديوي مصر على ان تتحمل الحكومة المصرية اعباء الاحتلال وان تكون السلطة الفعلية بايدي البريطانيين واطلق على السودان اسم (السودان الانكليزي المصري).

٢- الجزائر

تميزت الجزائر بموقعها الستراتيجي وكونها حلقة اتصال بين السواحل الجنوبية لاوربا والسواحل الشمالية للقارة الافريقية ووقوعها على طريق المواصلات بين شرق البحر المتوسط وغربه. وكانت تتمتع باستقلال ذاتي عن الدولة العثمانية ولها اسطول قوي، فضلا عن مواردها الاقتصادية من الزراعة والثروات المعدنية ووفرة الايدي العاملة ولها على الحكومة الفرنسية ديون كبيرة.

الاحتلال الفرنسي

بحثت الدول الاوربية موضوع الجزائر في مؤتمرات عدة في بداية القرن التاسع عشر من اجل محاربتها وتحطيم اسطولها، بذرائع مختلفة منها مساعدتها للاسطول العثماني وممارسة ما اسموه (القرصنة) حسب ادعائهم. وراحت هذه الدول ولاسيما فرنسا تخطط لاحتلالها، وكانت هذه الفكرة تدور في اذهان الفرنسيين قبل الثورة الفرنسية. وتاثرت العلاقات الفرنسية الجزائرية بالصراع القائم بين فرنسا وبريطانيا، اذ اراد نابليون بونابرت الافادة من موقع الجزائر في ذلك الصراع باقامة قاعدة بحرية فيها تعرقل المواصلات البريطانية. فارسل المهندسين لدراسة المشروع ووضع الخرائط اللازمة، لكن فرنسا انشغلت عن ذلك بسبب التحالف الاوربي ضدها. وبعد سقوط نابليون وضرب بريطانيا مدينة الجزائر عام ١٨٢٤م اشتبكت السفن الجزائرية مع بعض سفن البابا، واحتجت فرنسا لدى الحكومة الجزائرية طالبة منها تعهدات بعدم التعرض للسفن ودفع تعويضات عن ما سلب من سفن البابا كما اعدت وحدات بحرية للضغط على الجزائر.

وفي احدى المقابلات طالب حاكم الجزائر القنصل الفرنسي بالديون المتأخرة على حكومته ولكن القنصل رفض ذلك بطريقة غير دبلوماسية وفيها شيء من الغطرسة والتعالي. فاشار اليه حاكم الجزائر بمروحته للخروج، ولكن المروحة مست القنصل فعدت فرنسا ذلك اعتداءاً على كرامتها واهانة لشرفها واتخذته سببا لغزو الجزائر.

اعلنت فرنسا الحرب على الجزائر عام ١٨٢٧م وحاصرت قواتها الموانى الجزائرية ثلاث سنوات وتمكنوا من دخول العاصمة الجزائر في ٥ تموز ١٨٣٠م فاستسلم حاكمها واجبر على توقيع معاهدة مع فرنسا وانزلت الاعلام العثمانية ورفعت الاعلام الفرنسية محلها. واعلن الفرنسيون انهم جاءوا محررين لكنهم ارتكبوا اعمال سلب ونهب وحرق وتخريب وقتل للسكان دون تمييز. ثم قامت القوات الفرنسية ببسط سيطرتها على بقية المدن الساحلية بعد مقاومة شديدة استمرت عدة سنوات. واعلنت الحكومة الفرنسية ان الجزائر ارضا فرنسية ، وعينت عليها حاكما عسكريا عاما. ونتيجة لاستمرار القوات الفرنسية في ممارساتها العدوانية فقد تم توحيد فصائل المقاومة بزعامة الامير عبد القادر الجزائري وكان قائدا جريئا سعى لتنظيم دولته في المناطق الداخلية من البلاد واهتم بالجيش وتدريبه وتسليحه ونظم الادارة والقضاء والتعليم وطبق العدالة. فالتحقت به الكثير من القبائل وعقد معاهدة مع الفرنسيين اعترف فيها باحتلالهم للمناطق الساحلية واعترفوا بسيادته على المناطق الداخلية.

الامير عبد القادر الجزائري
(١٨٠٨-١٨٨٣م)

اقر الامير ذلك كي يتاح له الوقت لتعزيز دولته والقضاء على المعارضين وشعرت فرنسا بتنامي قوة الامير فقررت اعلان الحرب عليه متجاهلة المعاهدة معه. واستمر القتال بين الطرفين حقق خلالها الجزائريون انتصارات واجبروا الفرنسيين على توقيع معاهدة جديدة لكنهم مالبثوا ان تنصلوا منها ايضا. وتواصلت الحرب حتى عام ١٨٤٧م وبعد ان استقدمت فرنسا قوات جديدة معززة باحدث الاسلحة واجرت تغييرات في قياداتها مرات عدة مستخدمة اشد وسائل القتل والابادة ضد السكان . و لم يعد امام الامير عبد القادر سوى الاستسلام فنفي الى فرنسا ومنها الى دمشق وتوفي فيها سنة ١٨٨٣م.

٣- اليمن

ان موقع اليمن عند التقاء البحر الاحمر ببحر العرب جعلها تتحكم في طرق المواصلات البحرية المارة الى المحيط الهندي والى سواحل افريقيا الشرقية. كانت الاقسام الداخلية ولاسيما الجبلية منها تحكمها اسرة الائمة الزيدية. اما الاقسام الجنوبية ومركزها عدن فقد حكمتها سلالات متعددة ثم خضعت للعثمانيين عام ١٥١٧م الا ان حكمهم لها كان اسميا. اذ انها لم تتمكن من بسط سيادتها عليها بسبب ضعف اسطولها وبعدها عن مركز الدولة استانبول وقوة المعارضة لها .

توجهت انظار البريطانيين اليها بعد غزو الفرنسيين لمصر ومحاولاتهم الوصول الى الهند المستعمرة البريطانية . وبعد دخول قوات محمد علي حاكم مصر اليها لمحاربة الوهابيين الذين بدأوا يتغلغلون فيها. خشيت بريطانيا ان يتحكم محمد علي بطريق الهند واخذت تتطلع لبسط سيطرتها على موانيء اليمن باحتلال باب المندب في بداية الامر. ومع ان محاولتها هذه فشلت لكنها ادركت اهمية عدن كونها قاعدة بحرية على طريق تجارتها مع الشرق.

الاحتلال البريطاني:

بعد ان تمكنت بريطانيا من احكام سيطرتها على الخليج العربي واجبرت الشيوخ والامراء العرب في الربع الاول من القرن التاسع عشر على اعلان خضوعهم لها. اتجهت نحو عدن بعد ان عزز محمد علي تواجد قواته في اليمن بعد انتصاره على الحركة الوهابية.

وارسلت بريطانيا بعثة لدراسة احوال المنطقة ومسح السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية ودراسة احوالها ورسم الخرائط لها. ثم استغلت غرق احدى السفن الهندية قرب ميناء عدن عام ١٨٣٧م لتتخذ من ذلك ذريعة للاحتلال. فطالبت سلطان لحج وعدن التعويض عما لحق بالسفينة والمسافرين من اضرار. وتقدمت قواتها عارضة على السلطان تعويض المتضررين والموافقة على شراء عدن والاراضي المحيطة بها مقابل المبلغ الذي يقرره.

رفض السلطان العرض فأخذت القوات البريطانية تتدفق على المنطقة من الهند وفرضت الحصار على الميناء. وبعد صِدام قصير بين الجانبين في بداية عام ١٨٣٩م اضطر السلطان واتباعه الى الانسحاب. وسقطت المدينة بايدي البريطانيين ورفع العلم البريطاني فوق قصر السلطان. وعين القائد البريطاني كأول مقيم سياسي في عدن. الذي توصل الى عقد معاهدات مع شيوخ المناطق المجاورة لها تضمنت الامن والسلام وتحولت عدن والجنوب اليمني الى محمية بريطانية.

جرت محاولات عدة لاخراج البريطانيين من اليمن لكنها فشلت بعد ان قصف البريطانيون المدن الساحلية بالمدفعية. ومع ذلك تعرضت القوات المحتلة الى خسائر كبيرة بسبب تلك الهجمات التي استمرت حتى عام ١٨٤٦م . وقد استخدمت بريطانيا سياسة فرق تسد بين الشيوخ والزعماء المحليين فضلا عن افتقار السكان الى الاسلحة .

٤- تونس

كانت تونس تحكمها الاسرة الحسينية التي كان حكامها يحكمونها بشكل مستقل عن العثمانيين الذين اكتفوا منهم باعلان التبعية الاسمية. وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة ١٨٣٠م بذل حكامها جهودا من اجل النهوض بالبلاد والاهتمام بالجيش والاسطول والادارة والتعليم. واتجهت البلاد الى الاخذ باساليب الحضارة الغربية لتعزيز قدراتها الذاتية في وجه الطامعين. ونتيجة لضغط الدول الاوربية اضطرت الحكومة لاجراء اصلاحات دستورية تضمن العدل والمساواة بين المواطنين والسماح للاجانب بممارسة العمل والتملك . فتم تنظيم الادارة واصدار الدستور. وقد ادى هذا الانفتاح الى زيادة تدخل الدول الاوربية في شؤون البلاد الادارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

التنافس الاستعماري حول تونس

اشتد التنافس الاستعماري حول تونس بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر وتطلعت فرنسا لضمها اليها وشجعت حكامها على انهاء تبعيتهم للدولة العثمانية. في حين سعت بريطانيا الى ضمان مصالحها في البحر المتوسط فراحت تعمل على تعزيز روابط تونس بالدولة العثمانية. وكانت لايطاليا هي الاخرى مصالح سياسية واقتصادية واجتماعية كبيرة في تونس بحكم الجوار ووجود جالية ايطالية كبيرة فيها. فصارت البلاد ساحة للصراع بين هذه الدول من اجل السيطرة على اسواقها وثرواتها والحصول على الامتيازات والاستثمار وتقديم القروض. وتوافد اليها المستثمرون الذين صاروا يتمتعون بامتيازات كبيرة لانشاء المصارف والمدارس وخطوط السكك الحديد والتلغراف وامتلاك الاراضي. وتصاعدت ديون تونس لهذه الدول الامر الذي اجبرها على قبول تشكيل لجنة دولية للإشراف على مالية البلاد.

وفي مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م وبعد مساومات بين الدول الكبرى التي حضرته تقرر جعل تونس من نصيب فرنسا. وقد وافقت بريطانيا على ذلك مقابل اعطائها قبرص ووافقت المانيا وروسيا على ذلك ايضا. واصبح الطريق مفتوحا امام فرنسا التي شرعت بالاستعداد لاحتلال تونس بحجة المضايقات التي تتعرض لها الجالية الفرنسية فيها. وتهديد الامن من قبل القبائل التونسية الساكنة على الحدود الجزائرية بمهاجمتهم الجزائر وتقديم المساعدات للثوار الجزائريين.

الاحتلال الفرنسي لتونس:

في نيسان ١٨٨١م اجتازت القوات الفرنسية الحدود التونسية الجزائرية مدعومة بقوات بحرية نزلت في ميناء بنزرت. وتوجهت هذه القوات نحو العاصمة تونس وتمت محاصرة قصر الباي (باردو) في ايار واجبر الحاكم على توقيع (معاهدة باردو) التي وضعت البلاد تحت الحماية الفرنسية. وتم احتلال الاقسام الساحلية من البلاد وتعيين مقيم فرنسي عام واعترفت الدول الكبرى بذلك رغم احتجاج الحكومة العثمانية.

قصر باردو

رفض التونسيون ذلك باعتباره أعتداءً على سيادتهم وهبوا للدفاع عن البلاد. ولاسيما في المناطق الجنوبية والمراكز القبلية وامتدت المقاومة الى المدن الكبيرة. ولكن القوات التي حشدتها فرنسا والمدعومة بالاسطول مكن الفرنسيين من القضاء على المقاومة وتحكمت فرنسا في شؤون البلاد ونصبت حاكما تونسيا جديدا سنة ١٨٨٣م.

بسطت فرنسا سيطرتها على البلاد ووسعت صلاحيات المقيم الفرنسي الذي كانت سلطته اعلى من سلطة الحاكم التونسي. واحتل الفرنسيون المناصب العليا في الادارة واستولوا على الاراضي الخصبة وصار التونسيون مواطنين من الدرجة الثانية. وقيدت الصحافة والمطبوعات ومنعت تشكيل الجمعيات وحددت حرية الاجتماعات. وبالمقابل اخذ المواطنون ينظمون انفسهم لمقاومة الاحتلال والحصول على المطالب المشروعة بطريقة سلمية في اول الامر. وذلك من خلال التكتل حول بعض الصحف والزعامات الوطنية التي راحت تعمل على نشر التعليم وبث الوعي الوطني والتمسك بالعادات والقيم الاسلامية وتعليم المرأة واعداد جيل قادر على تحمل مسؤولياته وتمكينه من المطالبة بحقوقه الدستورية. ولكن اشتداد المعارضة قبل الحرب العالمية الاولى حولها الى صِدامات مسلحة بين الوطنيين والقوات الفرنسية قضى عليها الفرنسيون بقسوة بالغة.

٥- المغرب الاقصى (مراكش)

ان المغرب الاقصى (المملكة المغربية حاليا) هو البلد العربي الوحيد الذي لم يخضع للدولة العثمانية على الرغم من المحاولات التي بذلتها لتحقيق ذلك. كانت فرنسا تتطلع لضمه اليها نظراً لموقعه المتحكم بملتقى البحر المتوسط بالمحيط الاطلسي واطلاله على مضيق جبل طارق واستكمالا لسيادتها على بلدان المغرب العربي فازداد تدخل فرنسا في شؤونه الداخلية بعد احتلالها للجزائر.

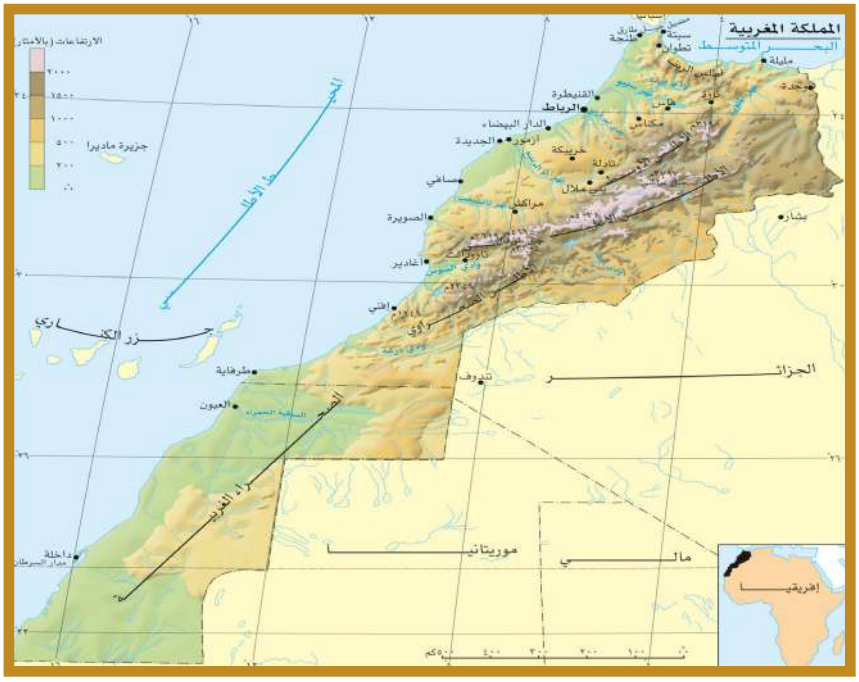

خريطة المغرب العربي

كان المغرب آنذاك يتمتع بالاستقلال تحت حكم الاسرة العلوية (الحالية) منذ النصف الاول من القرن السابع عشر . ولهُ علاقات اقتصادية ومعاهدات مع كل من فرنسا وبريطانيا واسبانيا ودول اوربية اخرى. مما فتح ابواب البلاد امام الدول الرأسمالية وتوافد عليه الاوربيون الذين صاروا يتمتعون بالامتيازات التي منحتهم اياها تلك المعاهدات وبحماية قناصلهم. وبعد تولي السلطان الحسن الاول الحكم عام ١٨٧٣م شعر بخطر ذلك على بلاده فدعا الاوربيون الى مؤتمر عقد في مدريد سنة ١٨٨٠م وتم تحديد حقوق الحماية والتجنس.

التنافس الدولي حول المغرب الاقصى (مراكش)

دخلت دول جديدة ميدان المنافسة حول المغرب الاقصى (مراكش) منها المانيا التي اكملت وحدتها عام ١٨٧٠م ، واخذت تبحث عن مستعمرات وسعت لمد نفوذها اليه، فيما اخذت فرنسا تحذر المغرب من النفوذ الالماني. وعملت اسبانيا هي الاخرى على تعزيز وجودها فيه بحكم الجوار ولاسيما بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر فسيطرت على المناطق الساحلية للمغرب المواجهة لجزر كناري عام ١٨٨٥م. واعلنت حمايتها على منطقة واسعة من الساحل الاطلسي فضلا عن سبتة ومليلة على البحر المتوسط. وبدأت مفاوضات مع فرنسا حول المغرب. ولكن بريطانيا عارضت في اول الامر امتداد السيطرة الفرنسية ووقفت بوجه المصالح الاسبانية خشية تحكمها في مضيق جبل طارق.

بعد وفاة السلطان الحسن الاول عام ١٨٩٤م تولى الحكم ولده عبد العزيز وكان صغير السن يميل الى الاسراف والاقتراض من الدول الاوربية. فخضع لنفوذ هذه الدول التي زاد تدخلها في شؤون البلاد . وكثرت المؤامرات وواجه المغرب اضطرابات محلية ومعارضة استغلتها فرنسا للحصول على امتيازات اقتصادية وسعت للاتفاق مع اسبانيا حول مصالح كل منهما فيه. كما عملت على اخذ موافقة بريطانيا على ضمان هذا الاتفاق وابرمت الاتفاق الودي معها سنة ١٩٠٤م. اطلقت فرنسا يد بريطانيا في مصر مقابل اطلاق يد فرنسا في المغرب. وتم تقسيم المغرب بين فرنسا واسبانيا الى منطقتي نفوذ لكل منهما.

عارضت المانيا الاتفاق وعدته موجها ضدها وزار الامبراطور الالماني طنجة واعلن ان المغرب دولة مستقلة وانه عازم على حماية المصالح الالمانية فيه.

مؤتمر الجزيرة الخضراء:

بدعوة من المانيا تم عقد مؤتمر دولي حول المغرب في الجزيرة الخضراء على الساحل الاسباني عام ١٩٠٦م حضرهُ ممثلون عن الدول الاوربية المعنية بالموضوع والولايات المتحدة الامريكية . وتم الاتفاق على احترام هذه الدول لسيادة سلطان المغرب واستقلاله ووحدة اراضيه وحرية التجارة لكل الدول دون تفرقة. وقرر المؤتمر اشراف فرنسا على قوة الشرطة وعلى الضرائب والكمارك وتأسيس مصرف دولي وفتح بعض الموانيء للتجارة

ووضع طنجة تحت ادارة دولية وهكذا تم تدويل قضية المغرب.

الاحتلال الفرنسي والاسباني:

شرعت فرنسا بوضع يدها على المناطق الرئيسة من البلاد وازاء ذلك ثار المغاربة وقرروا خلع السلطان عبد العزيز وتنصيب اخيه عبد الحفيظ بدلاً منُه. واندلعت الحرب الاهلية بين انصار كل منهما انتهت بانتصار عبد الحفيظ الذي اعترفت به الدول الاوربية سلطانا عام ١٩٠٨م مقابل دفع تعويضات لفرنسا واسبانيا واحتفاظ كل منهما بقواتها في الاجزاء التي احتلتها منه مع مراعاة التزامات المغرب السابقة.

السلطان عبد الحفيظ
(١٨٧٥-١٩٣٧م)

اعترضت المانيا على ذلك وارسلت احدى سفنها الحربية الى اغادير عام ١٩١١م واعلنت انها لن تسحب السفينة الا بعد انسحاب القوات الفرنسية والاسبانية من المغرب. وبعد مفاوضات بينها وبين الفرنسيين تم الاتفاق على تسليم المانيا منطقة في الكونغو الفرنسية مقابل اعتراف المانيا بالحماية الفرنسية على المغرب. وقد اعترف السلطان عبد الحفيظ بالحماية الفرنسية على بلاده سنة ١٩١٢م وصار يمثل فرنسا لدى السلطان مقيم فرنسي عام له حق التصديق على المراسيم التي يصدرها السلطان

وتتولى فرنسا تمثيل المصالح المغربية في الخارج. ثم اتفقت كل من فرنسا واسبانيا حول مناطق نفوذهما فاخذت اسبانيا كل من سبتة ومليلة وافني او ما يعرف بمنطقة الريف واخذت فرنسا بقية البلاد التي عرفت بالمنطقة السلطانية.

عارض المغاربة احتلال بلادهم وحصلت ثورات عدة ولاسيما في الاطلس الاوسط والمناطق الجنوبية من البلاد. الا انها امتازت بالضعف والتشتت وكانت قياداتها عشائرية النزعة باستثناء المقاومة في منطقة الريف التي تزعمها عبد الكريم الخطابي الذي اعلن تشكيل اول جمهورية في البلاد العربية.

٦- ليبيا (طرابلس الغرب)

التنافس الدولي حول ليبيا

كانت طرابلس الغرب تابعة للدولة العثمانية وكان حكمها ضعيفا بسبب تعسف الولاة العثمانيين وثقل الضرائب والتشدد في جبايتها دون اجراء اية محاولة للاصلاح. ادى ذلك الى تذمر الليبيين وقيام حركات معارضة وانتفاضات ضد ذلك الحكم. في الوقت الذي اشتدت فيه المنافسات عليها بين الدول الاوربية والتدخل في شؤونها. ولاسيما بريطانيا وفرنسا وايطاليا التي اكملت وحدتها عام ١٨٧١م وفشلها في احتلال تونس. وكانت ايطاليا تعد ليبيا مجالا حيويا لها بسبب قربها ووقوعها على طريق مستعمراتها في القرن الافريقي وقدرتها على استيعاب اكبر عدد من المهاجرين الايطاليين الذين اخذت بلادهم تضيق بهم فضلا عن غناها الاقتصادي .

مهدت ايطاليا للاحتلال من خلال التغلغل الاقتصادي والاجتماعي ففتحت المدارس لنشر الثقافة واللغة الايطالية وانشأت المستشفيات ومكاتب للبريد والبرق والمصارف وأسست فروعا لمصرف روما الذي نشط في عمليات الرهن والتسليف والاستيلاء على الاراضي الزراعية وتقديم القروض وجمع المعلومات. وارسلت بعثات للاثار والتنقيب عن المعادن ووضعت الخرائط والمصورات الجغرافية لعملياتها العسكرية مستقبلا.

وعلى الصعيد الخارجي اخذت ايطاليا تمهد للاحتلال بأخذ موافقة الدول الاوربية المنافسة لها فوعدت بريطانيا بدعم تطلعاتها في مصر مقابل ان تدعم بريطانيا مشاريعها في شمال افريقيا ولاسيما ليبيا. وعقدت اتفاقيات مع كل من المانيا واسبانيا بالمعنى نفسه. واتفقت مع كل من بريطانيا و(النمسا والمجر) عام ١٨٨٧م على وجوب

المحافظة على الوضع الراهن في البحر المتوسط ورفض مطالب فرنسا في ليبيا والمغرب. وفي عام ١٩٠٠م اتفقت فرنسا و ايطاليا على تحديد مناطق نفوذ كل منهما في البحر المتوسط وتخلت فرنسا عن اطماعها في ليبيا مقابل اطلاق يدها في تونس. وحصلت ايطاليا على موافقة روسيا للاستيلاء على ليبيا عام ١٩٠٩م مقابل اعترافها بادعاءات روسيا في المضائق العثمانية.

الاحتلال الايطالي لليبيا:

بعد ان ضمنت ايطاليا موافقة الدول الاوربية بدأت تعد العدة للاحتلال، لاسيما وان السلطات العثمانية لم تتخذ الاستعدادات للمقاومة. وفي ايلول ١٩١١م وجهت انذارا للحكومة العثمانية اتهمتها باضطهاد رعاياها وعرقلة مصالحها مدعية انها ستحتل ليبيا للحفاظ على شرفها ومصالحها فعلى الدولة العثمانية ان تسهل هذه المهمة، وامهلتها ٢٤ ساعة للرد على الانذار.

انكرت الحكومة العثمانية في ردها تعطيل المصالح الايطالية ودعت لاجراء مفاوضات بين الطرفين وحسم الامر بالوسائل السلمية. لكن ايطاليا اعلنت الحرب ووصل الاسطول الايطالي سواحل ليبيا وفرض الحصار على موانئها والقى نيرانه عليها. فتم احتلال طرابلس ثم بقية المدن الساحلية واعلنت ان طرابلس وبرقة تحت سيادتها وصارت تعرف باسم ليبيا.

ارتكب المحتلون جرائم انسانية بحق الليبيين من قتل وتدمير شمل الاطفال والشيوخ والنساء. واضطرت الحكومة العثمانية ان تدخل في مفاوضات معها في لوزان في سويسرا عام ١٩١٢م انتهت بتوقيع معاهدة (اوشي) وافق فيها العثمانيون على الانسحاب من ليبيا. لكن الحكم الايطالي لم يستقر اذ اعتمد الليبيون على امكاناتهم الذاتية وعلى دعم عرب المشرق وعدد من ضباط الجيش العثماني الذين الحقت هجماتهم خسائر كبيرة بالمحتلين وواصلوا ذلك حتى الحرب العالمية الاولى .

٧- فلسطين

اصبحت بلاد الشام او سوريا الكبرى باستثناء فلسطين تحت النفوذ الفرنسي بموجب اتفاقية سايكس -بيكو الموقعة من بريطانيا وفرنسا وروسيا عام ١٩١٦م. وكانت بريطانيا قد وعدت شريف مكة الحسين بن علي باقامة دولة عربية مستقلة بعد الحرب العالمية الاولى من ضمنها بلاد الشام. وبناءا على ذلك الاتفاق اعلن الشريف حسين الحرب على الدولة العثمانية (كما سبق ذكره في فصل سابق) .وتوجه الجيش العربي بقيادة ابنه الامير فيصل لمساعدة القوات البريطانية القادمة عبر سيناء لحماية الجناح الايمن لهذه القوات الزاحفة نحو فلسطين والعمل على اخراج العثمانيين من بلاد الشام.

دخلت القوات البريطانية الاراضي الفلسطينية بعد ان احتلت العريش ودخلت بئر السبع وتمركزت في قاطع غزة – بئر السبع . ثم شرعت بالتقدم شمالا بعد ان تولى قيادتها الجنرال البريطاني اللنبي. فاخذت القوات العثمانية المنهارة تتراجع امامها وتعقبتها القوات البريطانية فاحتلت يافا ودخلت القدس اواخر عام ١٩١٧م.

كان احتلال فلسطين بداية لظهور الخلاف بين العرب وبريطانيا التي تعهدت للشريف حسين ان تكون فلسطين ضمن الدولة العربية التي سيتم تشكيلها بعد الحرب وستحصل على الاستقلال التام. لكن البريطانيين اخذوا يمهدون لضم فلسطين الى نفوذهم بغية تحويلها الى وطن للصهاينة طبقا للوعد الذي اطلقه وزير خارجية بريطانيا بلفور في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧م اي قبل دخول القوات البريطانية القدس. واقنعوا فرنسا بالتخلي عن فلسطين التي كانت اتفاقية سايكس-بيكو قد وضعتها تحت الادارة الدولية. فتم وضعها تحت ادارة عسكرية بريطانية ثم اعلن الانتداب البريطاني عليها وتم تعيين احد اليهود البريطانيين المتعصبين مندوبا ساميا ليعمل على تنفيذ وعد بلفور.

٨- سوريا ولبنان.

تقدمت القوات العربية بقيادة الامير فيصل بن الحسين ودخلت دمشق في بداية تشرين الاول ١٩١٨م وانسحب منها العثمانيون . ثم دخلتها القوات البريطانية بقيادة اللنبي وتم احتلال بيروت وطرابلس وحمص وحلب وانتهت السيطرة العثمانية على بلاد الشام . ثم اعلنت الهدنة في ٣٠ تشرين الاول واعلن الامير فيصل تشكيل حكومة دستورية مستقلة لكل بلاد الشام. اما القوات الفرنسية فقد دخلت بيروت وبعض المناطق الساحلية من لبنان تنفيذا لاتفاقية سايكس- بيكو وفصلتها عن سوريا.

توجه الامير فيصل الى مؤتمر الصلح في باريس ممثلا عن ابيه الشريف حسين وهناك طالب بحق العرب في الحرية والاستقلال. لكنه جوبه بمعارضة شديدة من ثلاثة قوى هي الصهيونية العالمية التي كانت تسعى لاقامة وطن لليهود في فلسطين، وفرنسا التي تريد ان تضع يدها على سوريا ولبنان، وبريطانيا التي تريد تثبيت سيطرتها على فلسطين وشرق الاردن والعراق. وجرت مساومات بين هذه الاطراف التي اتفقت على انكار تطلعات العرب وعدم الوفاء بالعهود التي قدمها البريطانيون لهم اثناء الحرب. فضلا عن ذلك فان مؤتمر الصلح اقر فصل لبنان عن سوريا وضم اجزاء من سوريا اليه.

بعد مباحثات بين البريطانيين والفرنسيين تم الاتفاق على سحب القوات البريطانية من بلاد الشام باستثناء شرق الاردن، مقابل موافقة فرنسا على تخليها لبريطانيا عن ولاية الموصل العراقية، ووضع فلسطين تحت سيطرة بريطانيا بدلا من الادارة الدولية التي نصت عليها اتفاقية سايكس- بيكو . واستجابة لهذا التحدي قرر المؤتمر السوري العام (الذي كان بمثابة الجمعية الوطنية التي تمثل اعلى سلطة في سوريا الكبرى انذاك) في ٦ اذار١٩٢٠م اعلان استقلالها بما فيها فلسطين ولبنان وجعلها دولة ملكية دستورية ذات سيادة تحت حكم الملك فيصل بن الحسين، على ان يتمتع لبنان بحكم ذاتي داخل سوريا الموحدة. وفي ٢٥ نيسان اجتمع المجلس الاعلى للحلفاء في سان ريمو في ايطاليا وتقرر فرض نظام الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين وشرق الاردن، والانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان والزام المنتدب على فلسطين بتنفيذ وعد بلفور. وما ان صدرت هذه القرارات حتى بادرت فرنسا الى تنفيذها ووجهت انذارا الى الملك فيصل

في ١٤ تموز ١٩٢٠م عليه تنفيذه خلال اربعة ايام. تضمن الانذار مايلي :

١. قبول الانتداب الفرنسي.

٢. تسليم السكك الحديد الى السلطات الفرنسية.

٣. تسريح الجيش الوطني.

٤. تداول العملة الفرنسية.

٥. ضرب كل من يقاوم الفرنسيين.

قرر الملك فيصل وحكومته قبول الانذار وباشر بتنفيذ المطالب الفرنسية. ولكن التظاهرات قامت احتجاجا على ذلك. واستولى المتظاهرون على بعض الاسلحة وقرر المؤتمر السوري عدم شرعية اية حكومة تقبل الانذار. وجمع وزير الحربية يوسف العظمة ما بقي من الجنود غير المسرحين لمحاربة الفرنسيين ووقعت بين الطرفين معركة غير متكافئة (ميسلون) استشهد فيها يوسف العظمة والكثير ممن كانوا معه. ودخل الفرنسيون دمشق يوم ٢٥ تموز ١٩٢٠م وتم الغاء الحكومة العربية وابعاد فيصل خارج البلاد ووضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.

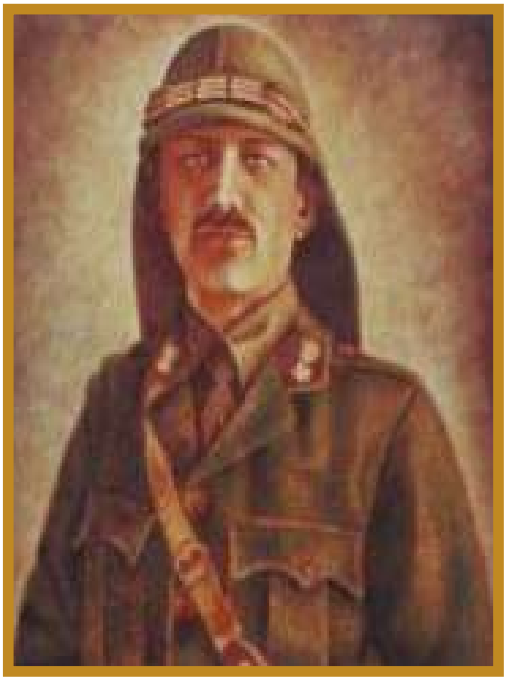

يوسف العظمة (١٨٨٤-١٩٢٠م)

اسئلة الفصل السادس

س١/ عرف ماياتي :

١ - معركة ابي قير . ٢ - الوزارة الاوربية . ٣ - معاهدة باردو.

٤ - مؤتمر الجزيرة الخضراء. ٥ - ازمة اغادير . ٦ - يوسف العظمة .

س٢/ ما ابرز انجازات الامير عبد القادر الجزائري لمواصلة النضال ضد الاستعمار الفرنسي ؟

س٣/ ((اشتد التنافس الاستعماري حول تونس بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر)) ناقش ذلك.

س٤/ دخلت دول استعمارية جديدة ميدان المنافسة حول المغرب . ما هذه الدول وماهي مناطق نفوذها ؟

س٥/ ما ابرز مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء حول المغرب ؟

س٦/ ما ابرز بنود :

١- معاهدة اوشي . ٢ - قرارات المؤتمر السوري العام .

س٧/ مهدت ايطاليا لاحتلال ليبيا من خلال التغلغل الاقتصادي والاجتماعي . ناقش ذلك

النشاط

- يقوم الطلبة بزيارة مكتبة المدرسة للاطلاع على الكتب التي توثق الثورة العرابية في مصر. وكتابة بحث موجز عنها .
- يشارك الطلبة في حلقة نقاشية باشراف المدرس / المدرسة لمناقشة ادعاء نابليون انه جاء مصر محرراً لافاتحاً وانه في سبيل اعتناق الاسلام .
- افتح باباً للحوار على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) لمناقشة وعد بلفور واثره على القضية الفلسطينية .
- اجمع صوراً تمثل مرقد الامير عبد القادر الجزائري في دمشق . ومتى نقل رفاته الى الجزائر ؟ مع كتابة بحث موجز عنه .

الآثار العراقية

ليست ملكاً للعراق وحسب بل ملك للعالم أجمع